

﴿ ختم درس المنطق للاستاذ الأكبر ﴾

(في الجامع الأزهر)

لا خلاف في ان العلوم والمعارف بدأ ينزوي نورها وينبض معينها في بلاد الشرق من عدة قرون ولم يكن الشرق الا الاسلام والمسلمين حيث لا علم الا علمهم ولا مدينة الا مدينتهم وقد اقتضت حوادث الكون بان ينتبه المسلمون من رقادهم كما انتبه غيرهم وكانوا احق بالسبق والتقدم وكلما انتبه فرد انتباهاً حقيقياً عني بتنبهه غيره سنة الله في الخلق ، واشهر المنتهين والمنتهين لأحياء العلوم في المسلمين لهذا العهد هو مولانا الاستاذ الأكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية . اخذ حفظه الله على نفسه ايقاظ اهل الأزهر الشريف وارشادهم لطريقة التعليم المثلى فلقي في ذلك من المناء ما كان يلقاه المصلحون من قبله في كل زمان ومكان . وعلم ان الارشاد بالقول قليل الجدوى فصار يقرأ الدروس بنفسه مع كثرة اعماله الاخرى في خدمة بلاده وفي ليلة الاربعاء الماضية أتم كتاب « البصائر النصيرية » في علم المنطق وقد احتفل بمختمه في الرواق العباسي كما هي عادة الأزهريين احتفالاً قرئت فيه الخطب والقصائد في الثناء على الاستاذ وكان الأولى ان توجه افكارهم الى بيان طرق الاصلاح الذي امتاز بها درسه والاقطاب التي كان يدور عليها كلامه وترمي اليها سهامه ومرجعها الى اصلين (احدهما) اختيار الكتب فان الناس يختارون في كل طور وحال ما يناسب درجتهم واستعدادهم ولضعف العلم في القرون الاخيرة صار العلماء لا يقرؤون الا كتب المتأخرين والتي كتب عليها الشروح والحواشي الملائي

بالمنازعات والمحاورات في الاساليب العرفية التي تضعف العلم واللغة جميعاً كما هو المشاهد . ولا يكاد يجراً عالم على قراءة كتاب من كتب الجهابذة المتقدمين التي لم تشرح ولم تعلق عليها الحواشي ويسمونها (غير مخدومة) فعلنا الاستاذ باختيار « البصائر النصرية » الذي هو امثل كتاب رأيناه في المنطق كيف تختار الكتب النافعة التي لم تنتهها بالمدارسة وعلق عليه شرحاً وجيزاً بين غوامضه واصلح ما عساه يوجد فيه من الخطأ مما لا يخلو عنه غير كلام المعصوم فعلنا بذلك كيف ينبغي ان تكون الشروح وكيف ان يتمكن من العلم لا يهاب الكتب ولا يتقيد بالمبارات التي ألقاها وتعلمها (ثانيها) الالتقاء والتقرير - علمنا بذلك كيف تتجلى الحقائق بالصور المختلفة وتحملي المعاني بالصيغ المتعددة ليعتقنا من رق عبارات ويفكنا من اسر الالفاظ التي استبدت بالحكم فينا زمناً طويلاً - علمنا كيف ضلت الافهام . وغلبت الأوهام . وكيف اطفأ دخان التقاليد النظرية ما في العقول من انوار العلوم اليقينية لطلب العلم براهانه وتأخذ الشيء براهانه - علمنا كيف تتضائل الشبه افتضاحاً وتتبختر الحجج اتضاحاً وكيف يفرغ البيان العويص من النظريات في قوالب البديهيات لتقوى منا العزائم وتقدم على العظامم - علمنا كيف نطلب العلم بالعمل بمسأله والتحقق بدلائله وملاحظة انطباقه على الواقع وموافقته للوجود لنحصل ثمرة قوله صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » - علمنا كيف تتمحص الحقائق للوصول الى اليقين بالعلم والجزم بالفهم ليخرجنا من الحيرة في طريقة التعليم المألوفة لهذا العهد . طريقة الاحتمال وسرد الاقوال - علمنا بحاله ومقاله كيف يرتقى العلم وكيف يأتي المتأخر بما لم تأت به الاوائل لينزع من نفوسنا التسليم

بان الانسان دائماً في تدلّ وهوي لا في تقدم ورقى فان التقدم مع هذا الاعتقاد محال — علماً كيف يكون العلم صفة من صفات العالم تفعل به نفسه وتكيف به روحه ليرشدنا الى ان الصور والخيالات التي تلوح في الازهان وتراعى في الافكار عندما تنشر الصحف وتعرض على الانظار نقوش الكتب ليس من العلم في شيء

ولو شئت ان أستشهد على كل شيء مما قلته بشيء مما جاء في درس المنطق فعلت واظن ان نبيه الطلاب الذين حضروه يكتفون بهذه الاشارات ولا ينسون كيف فنّد الاستاذ كلام افلاطون واصلح رأي ارسطو في الماهيات ولا ينيب عن اذهانهم ذلك التحقيق المجيب في معنى الوجود وانه جنس الاجناس وجوهر الجواهر ولا ينكرون انهم لم يفهموا معنى الوجود الا في ذلك اليوم كما لا ينيب عن عقولهم ذلك التحقيق البديع في معنى العدم وانه لا حقيقة له ولا يمكن تصوره فحيا الله من علمنا كيف نفرق بين الوجود والعدم . واظن انهم يتذكرون ذلك السائل الذي سألهم عن مفهوم « شريك الباري » وقول المنطقين انه من الكليات التي لم يوجد لها افراد . ويتذكرون جواب فضيلته الذي يتدفق حكمة وإيماناً وعلماً وإيقاناً الذي أثبت فيه ان ذلك المفهوم من الصور الخيالية المخترعة التي لا حقيقة لها ولا يمكن تصورها وما جعلها من الكليات الا نقص العلم وخطأ الفهم الخ ما لا محل له هنا لا يضاحه وتفصيله

تليت القصائد والخطب احتفالاً بختام الدرس كما قلنا والرواق السباسي غاص بالناس يزاحم العلماء والمدرسون فيه الطلاب والمجاورين وعلم الاستاذ ان ما سيلقى كثير فحتم المجلس بخطاب يبلغ ابتداءً بهضم نفسه بازاء الاطراء

في المدح مع شكر من يظن به خيراً . وقال احسن الكلام ما كان صادقاً مطابقاً للواقع وانما يذهب مذاهب المبالغة في قوله من كان مجازفاً في رأيه وان كان العلماء توسعوا في التسامح بالمبالغة والتشبيات والاستعارات ولم يعدوها من الكذب وسندكر ما علق بالذهن من خطابه في الجزء الآتي

الخط الحديدي الحجازي

﴿ خط الحديد الحجازي ﴾

حيأ الله الذات السلطانية الحميدة وبياها . وأمدتها بالحناية والتوفيق وقواها . فقد اصدرت ارادتها السنية . بالتبرع بخمسين الف ليرا عثمانية . عانة لهذا الخط الشريف . الذي هو افضل آثارها من تالذ وطريف . وتعلقت الارادة الشريفة ايضاً بانجاز هذا العمل الميمون . في مدة لا تزيد على اربع سنين . وكنا ذكرنا انه تقرر ان تكون جميع الأدوات واللوازم فيه اسلامية عثمانية ولكن تبين ان معامل ادارة البحر في الاستانة لا تقدر ان تصنع اكثر من ٢٥٠ متر من الخطوط في اليوم (اي ١٥٠ متر من هذه الخطوط) وذلك يقتضى ان تزيد المدة على اربع سنين كما ان النفقة تكون اكثر من نفقة ابتياعها من اوربا لان المعامل المذكورة غير مستعدة تمام الاستعداد ويعوزها لهذا النشاء مهمل جديد ولذلك تقرر اخيراً ان يتابع من اوربا . وتهتم اللجنة العليا التي يرأسها مولانا السلطان الاعظم بكليات هذا العمل وجزئياته واصوله وفروعه فبلغت السر عسكرية بأن ترسل الى سوريا الجنود العاملين به وبلغت نظارة الغابات والحراج بارسال الأخشاب اللازمة